

تقارير

السودان تنتفض

هل ستتحول الانتفاضة السودانية إلى ثورة تطيح بنظام البشير؟

عبد الصادق علي عبد الصادق*



شهدت مختلف مدن السودان مظاهرات حاشدة شارك فيها الآلاف من المواطنين منددة ومطالبة بإسقاط النظام السوداني، حيث انطلقت الشرارة الأولى من نهر النيل وبالتحديد منطقة عطبرة أو كما تسمى عاصمة الحديد والنار.

انطلاق هذه الشرارة من عمل شعبي خالص نتاج للأزمة الاقتصادية التي يمر بها المواطن السوداني والضائقة المعيشية التي نراها متمثلة في الخبز، والبنزين، والوقود، وانعدام السيولة والدواء، وتردي الحالة الصحية، بالإضافة إلى الحالة الاقتصادية التي تعتبر هي المحرك الأساسي للانتفاضة الشعب السوداني.

الحالة الاقتصادية للسودان لم تترك للمواطن السوداني خيار آخر سوي الانتفاضة، وهي في طريقها لأن تصبح ثورة، لكن النظام السوداني يحاول عرقلة تلك الانتفاضة ويشعر بخطر كبير تجاه تلك الأحداث الواقعة في البلاد مستخدمًا في ذلك كل السبل المتاحة لديه من استنفار أمني واستخدام العنف مع المتظاهرين رغم أن التظاهر حق مشروع، فقد سقط عدد كبير من القتلى والجرحى جراء تلك المظاهرات المطالبة بالحقوق، كما أنه تم التعدي على النساء بالإضافة إلى استعمال العنف المفرط ضد الجماهير والمتظاهرين.

كذلك قام النظام السوداني بعمل عملية محاصرة للشعب متمثلة في حجب مواقع التواصل الاجتماعي فيس بوك، تويتر، وواتساب، وكذلك قطع شبكة الإنترنت وغيرها.

ورجح بعض النشطاء السودانيين أن يكون هنالك يد للمعارضة في تحريك تلك التظاهرات خصوصًا بعد عودة الصادق المهدي زعيم حزب الأمة المعارض إلى أرض الوطن، لكن سرعان ما تضاءلت تلك التوجهات وأكد أغلب النشطاء السودانيين أن الشعب السوداني يرى أن هذا النظام فقد مصداقيته ولا خير فيه ويجب إزالته من جذوره، حيث كان لدى الشعب السوداني بصيص من الأمل في المعارضة، لكن بعد الأحداث التي حدثت في أديس أبابا، والمشاورات والمفاوضات التي تمت في الدوحة وفي برلين؛ شعر الشعب بحالة من الخيانة تجاه تلك التيارات المعارضة التي وثق فيها، ووجد أن لا مجال له سوى الخروج إلى الشارع وعدم الثقة بالمعارضة مجددًا، ولذلك كان قرار الشعب هو الخروج.

ولكن المؤثر ليس فقط هو ما حدث في أديس أبابا أو في قطر أو برلين، إذ يمكن القول بأن هذه الأحداث قد ساهمت في دفع الشارع، إضافة إلى معاناة المواطنين من أزمة اقتصادية كبيرة، وأزمة معيشية راهنة متمثلة في الخبز والبنزين والوقود وغيرها، في الوقت الذي وجد فيه الشعب أن القيادات والزعمات -التمثلة في المعارضة وغيرها- التي كان من المفترض أن تأتي له بحلول ولو مؤقتة باتت تتلاعب بالقضية الوطنية، فلم يجد خيار أمامه سوى الشارع.

فهل تتحول الانتفاضة السودانية إلى ثورة تطيح بنظام البشير؟

الشعب السوداني في الأساس خرج ينادي بإسقاط النظام لأنه يرى أن النظام الحالي هو المتسبب في الأحداث التي تشهدها البلاد سواء كانت أزمة اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية.

ومقارنة بين النظام الحالي (نظام البشير) مع الأنظمة الديكتاتورية التي تواجدت في السودان سابقًا من نظام عبود ومن نظام نميري، نجد أن نظام البشير هو الأسوأ، ولكن نظام عبود كان نظام ديكتاتوري سمي

بالديكتاتور المستنير؛ لأنه كان وطني، وكانت له محاولات في تنمية السودان والاهتمام ببناء البنية التحتية، مقارنة بما قدمه البشير والتي يأتي بمقدمتها بيع أهم الخطوط الجوية في السودان والمغامرة بالمشاريع التي لا تدعم الاقتصاد السوداني، كما أن الأخير ليس له قبول دولي.

ويعتبر كثير من المراقبين بالإضافة إلى الأكاديمي السوداني الدكتور عبد الوهاب الأفندي موجة الاحتجاجات الحالية في السودان مختلفة عن سابقتها، بدءًا من انطلاقها من الأقاليم بدلاً من العاصمة (الخرطوم)، وربما تخرج عن سيطرة السلطات السودانية، التي تواصل استخدام أساليبها القديمة، في التعامل مع احتجاجات الناس، والتي تقتصر على المعالجة الأمنية.

وقد تشكل هذه الثورة نقلة نوعية مقارنة بسابقتها، فقد استغرق إسقاط نظام عبود أسبوعًا في عام ١٩٦٤م، بينما صمد نظام جعفر النميري ١٢ يومًا.

بجانب كل ذلك أظهرت عدة شرائط مصورة للاحتجاجات عفويتها، وظهور رجال الجيش عندما بدأت الاحتجاجات في عطبرة وحمائهم للمحتجين من اعتداءات رجال الأمن والشرطة، فيما يمثل إحياء بالنسبة لكثيرين على أن المؤسسة السياسية والعسكرية التزمت الحياد، على قدر ما فيها من مؤيديين للنظام، وباتت تشعر بأن الناس لا حول لهم ولا قوة بعد ما وصلت مستويات المعيشة إلى مرحلة متدنية.

فهل ستتحول الانتفاضة السودانية إلى ثورة تطيح بنظام البشير وتحقق مطالب الشعب السوداني؟ أم ستتجح السلطات السودانية في احتواء تلك الأزمة والتعامل مع الاحتجاجات كم حدث من قبل؟

* كاتب مصري، حاصل على ليسانس آداب، باحث أول في مركز اليد العليا للدراسات.

المراجع:

- بي بي سي عربي: السودان: هل تتمكن السلطة من احتواء الاحتجاجات هذه المرة؟
- فرانس 24: الناشطة عبير المجرم: "ما يحدث في السودان ثورة على البشير"